

المجبل

يستمد المجبل هيئته من عدة عناصر ، أهمها ثباته وارتفاعه وضخامته . أما صخوره فهي مثل الأظافر المتى تخذش من يحاول الاقتراب منه . وعلى الرغم من أن الرياح العاصفة تحتاج في طريقها كل شئ ، إلا أنها لا تستطيع أن تنال من صلابة المجبل ، فهي تصطدم به ، ولما تلبث أن تنكسر على صدره ، وكذلك الأمواج المتى تفتت الشاطئ ، لا يمكن أن تنال من جسد المجبل ، الذى يتلقاها فى حالة عنفوانها فيكسر حدتها ، ويجعلها تتناثر قطرات من حوله

المجبل شامخ دائما ، سواء عندما يتجاور مع البحر ، أو يلامس الصحراء . ولأنه يمتنع على الجميع ، فلا يلجأ للسكن فيه إلا الحيوانات أو الطيور المتى تأنف من أن يمسك بها أحد ، والمتى من طبعها المنفور من المخلوقات الأخرى . يعيش على جوانبه الماعز الجبلى ، وتتخذ النسور فى قممه أعشاشها ، وأحيانا تنمو على حوافه بعض الأشجار المتى يرويها ماء المطر ، النازل مباشرة من السحاب .

ما الحكمة من وجود المجبل ؟ يخبرنا القرآن الكريم بأنه من الرواسى المتى وضعها الله فى الأرض لكى لا (تميد) بأهلها ، أى تتحرك وتهتز كما يحدث فى لحظات الزلازل ! فالجبال إذن هى الأوتاد المتى تتماسك بها الأرض ، حتى تصلح عليها حياة البشر . وبالتالي فهي تستحق عندما ذراها أو نمر إلى جوارها أو نطير فوقها أن نشكر الله تعالى على ما أنعم به على أهل الأرض

لكن الإنسان منذ قديم الزمان لم يترك المجبل فى حاله . فقد حاول سكناه ، كما فعلت ثمود ، أو نقب فيه أنفاقا كما فعلت كل بلاد

أوروبا تقريبا : أنفاق يصل بعضها إلى أكثر من عشرة كيلومترات ، وهي مسفلتة ومضاءة من الداخل وتعبورها السيارات بسرعة وسلاسة . وعندما كنت أعبورها أقول لنفسى : ماذا لو غضب المجبل فأطبق علينا ونحن تحت جسده المهائل ، وفى قبضته الصخرية ؟

بعض الجبال طيبة القلب ، فهو يسمح للإنسان بأن يتسلقها ، وينقب فيها ويصنع التماثيل ، أو يستخرج من مذاجمه المعادن . لكن بعضها الآخر غضوب ، يتفجر داخله بالنار ، وتقذف أضلاعه بالحمم ، فيملأ الجو بغبار لا يصلح للتنفس ، بل إنه يقتل كل مظاهر الحياة . وهكذا يحاول المجبل أن يذكرنا دائما بالوجه الغاضب حتى لا ننسى وجهه الوديع

تتفاوت الجبال فى الحجم ، والمساحة ، والارتفاع ، كما تختلف ألوانها بين الأبيض والأحمر والأسود . لكنها جميعا ترجع فى التاريخ إلى نشأة الأرض ذاتها . ومن الواضح أنها سوف تنتهى بنهايتها . وقد أخبرنا الله تعالى ، خالق الأرض والسماء ، أنها ستكون زلزلة كبرى تخرج فيها الأرض أثقالها ، وعندئذ (تميد) الجبال التى كانت تمسكها ، فينهار كل شئ ويبدأ خلق جديد ، كما يقول القرآن الكريم : " كما بدأنا أول خلق نعيده

عندما تجرأ موسى عليه السلام فطلب من الله تعالى أن يراه بالمعين المجردة ، قال له : " لن ترانى ولكن انظر إلى المجبل فإن استقر مكانه فسوف ترانى فلما تجلى ربه للجبل جعله دكا وخر موسى صعقا " . وتلك دلالة أخرى على أن خالق الجبل ، هو وحده ، الذى يمسكه ، وهو المقادر أيضا على أن ينسفه نسفا . وعند انتهاء الدنيا ، سوف تتحول الجبال المضخمة الراسخة : مثل ذيف الثلج المتطاير فى الجو !